٣- فصل

خلافة أبى جعفر المنصور[١]

[٤٧] **قيل** : إنه كان يحفظ الشعر من مرة ، وله مملوك يحفظه من مرتين ، وكان له جارية تحفظه من ثلاث مرات ، وكان بخيلا جدا حتى أنه كان يلقب بالدوانيقى لأنه كان يحاسب على الدوانق[٢] فكان إذا جاء شاعر بقصيدة قال له : إن كانت مطروقة بأن يكون أحد يحفظها أو أحد أنشأها أى بأن كان أتى بها أحد قبلك فلا نعطيك بها جائزة ، وإن لم يكن أحد يحفظها نعطيك زنة ماهى مكتوبة فيه فيقرأ الشاعر القصيدة، فيحفظها الخليفة من أول مرة ، ولو كانت ألف بيت ، ويقول للشاعر : اسمعها منى وينشدها بكمالها ، ثم يقول له وهذا المملوك يحفظها وقد سمعها المملوك مرتين مرة من الشاعر ومرة من الخليفة فيقرؤها ، ثم يقول الخليفة : وهذه الجارية التى خلف الستارة تحفظها أيضا ، وقد سمعتها الجارية ثلاث مرات فتقرؤها بحروفها ، فيذهب الشاعر بغير شىء .

---

(١) عبد الله بن محمد بن على بن العباس ، أبو جعفر المنصور : ثانى خلفاء بنى العباس ، كان عارفا بالفقه والأدب ، محبا للعلماء . ولد فى الحميمة من أرض الشراة ، وولى الخلافة بعد وفاة أخية السفاح [١٣٦هـ] ، وهو بانى مدينة "بغداد" أمر بتخطيطها سنة [١٤٥هـ] وجعلها دار ملكه بدلا من الهاشمية التى بناها السفاح ، وكان بعيدا عن اللهو والعبث كثير الجد والتفكير ، وهو والد الخلفاء العباسيين جميعا ، وكان أفحلهم شجاعة وحزما ، مدة خلافته [٢٢] عاما توفى ببئر ميمون محرما بالحج [١٥٨هـ = ٧٧٥م] . انظر : الكامل لابن الأثير (١٧٢/٥) ، تاريخ الطبرى (٢٩٢/٩-٣٢٢) .

(٢) الدَوَانِق ، جمع دانق : جزء من الدرهم .

[٤٨] قال الراوى : وكان الأصمعى من جلسائه وندمائه فنظم أبياتا صعبة، وكتبها على قطعة عمود من رخام ، ولفها فى عباءة وجعلها على ظهر بعير ، وغير حليته فى صفة أعرابى غريب وضرب له لثاما ولم يبن منه غير عينيه ، وجاء إلى الخليفة ، وقال : إنى امتدحت أمير المؤمنين بقصيدة فقال : ياأخا العرب إن كانت لغيرك لانعطيك عليها جائزة ، وإلا نعطك زنة ماهى مكتوبة عليه فأنشد الأصمعى هذه القصيدة :

صوت صفير البلبل ... هيج قلبى الثمل
الماء والزهر معا ... مع زهر لحظ المقل
وأنت ياسيد لى ... وسيدى ومولى
وكم وكم تيمنى ... غزيل عقيقلى
قطفت من وجنته ... باللثم ورد الخجل
وقلت بس بسبسنى ... فلم يجد بالقبل
وقال لا لا للا ... وقد غدا مهرولى
والخود مالت طربا ... ولى ولى ياويللى[1]
من فعل هذا الرجل ... وولولت ولولة
لما رأته أشمطا ... فقلت لاتولولى
وبينى اللؤلؤ لى ... إلابطيب الوصللى
يريد غير القبل ... وبعده مايكتفى
وفتية سقوننى ... قالت له حين كذا
انهض وجد بالنقلى ... أزكى من القرنفل
قهيوة كالعسللى ... شممتها فى أنفقى

---

(١) خَوْد : المرأة الشابة .

بـــــالزهر والســـــروللى والعـــود دنـــدن دنلـــى
فـــى وســـط بســـتان حلـــى والرقـــص قـــد طبطبلـــى
والســـــف سقسقســـــقلى والطبـــــل طبطبطبلـــــى
علـــــى ورق ســـــفرجل وغـــرد القمـــرى يصيـــح لـــى
شوواشوواشاهشـــــــــوا فلـــــو ترانـــــى راكبـــــا
علـــــى حمـــــار أهزلـــــى مـــــن ملـــــل فـــــى مللـــــى
يمشـــــى علـــــى ثلاثـــــة كمشـــــية العرنجلـــــى
والنـــــاس ترجمجملـــــى فـــــى الســـــوق بـــــالقلقلى
والكـــــل كعكـــــع كعكـــــع خلفـــــى ومـــــن حوللـــــى
لكـــــن مشـــــيت هاربـــــا مـــــن خشـــــية العقنقلـــــى
إلـــــى لعشـــــاء وذلـــــك معظـــــم مبجـــــل
يـــــأمر لـــــى بخلعـــــة حمـــــراء كـــــالدم دملـــــى
أجـــــر فيهـــــا ماشـــــيا مبغـــــدد اللديـــــل
أنـــــا الأديـــــب الألمعـــــى مـــــن حـــــى أرض الموصلـــــى
نظمـــــت قطعـــــا زخرفـــــت تعجـــــز الأدبللـــــى
أقـــــول فـــــى مطلعهـــــا صـــــوت صفـــــير البلبـــــل

قال الراوى : فلم يحفظها الملك لصعوبتها ونظر إلى المملوك وإلى الجارية فلم يحفظها أحد منهما ، فقال : يـا أخـا العـرب هـات الـذى هـى مكتوبة فيه نعطك زنته ، فقال : يامولاى إنى لم أجد ورقا أكتب فيه وكان عندى قطعة عمود من رخام من عهد أبى وهى ملقـاة ليـس لـى بهـا حاجـة فنقشتها فيها ؛ فلم يسع الخليفة إلا أنه أعطاه وزنها ذهبا ، فنفذ مافى خزينته من المال فأخذه وانصرف ، فلما ولى قال الخليفة : يغلب على ظنى أن هـذا الأصمعى ، فـأحضره وكشـف عـن وجهـه فـإذا هـو الأصمعـى ،

فتعجب منه ومن صنيعه وأجازة على عادته . قال : ياأمير المؤمنين إن الشعراء فقراء وأصحاب عيال ، وأنت تمنعهم العطاء بشدة حفظك ، وحفظ هذا المملوك وهذه الجارية ، فإذا أعطيتهم ماتيسر ليستعينوا به على عيالهم لم يضرك ، انتهى والله أعلم .

[٤٩] **وذكر الغزالي[1] وابن بليان وغيرهما** : أن أبا جعفر المنصور حج ونزل فى دار الندوة ، وكان يخرج سحرا فيطوف بالبيت فخرج ذات ليلة سحرا فبينما هو يطوف، إذ سمع قائلا يقول : اللهم أشكو إليك ظهور البغى والفساد فى الأرض ومايحول بين الحق وأهله من الطمع . فهرول المنصور فى مشيته حتى ملأ سمعه ، ثم رجع إلى دار الندوة وقال لصاحب شرطته : إن بالبيت رجلا يطوف فأتنى به ، فخرج صاحب الشرطة فوجد رجلا عند الركن اليمانى ، فقال : أجب أمير المؤمنين ، فلما دخل عليه قال: أنت الذى سمعتك آنفا تشكو إلى الله ظهور البغى والفساد فى الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع فوالله لقد حشوت مسامعى ماأمرضنى ، فقال له : ياأمير المؤمنين إن الذى دخله الطمع حتى حال بين الحق وأهله وامتلأت بلاد الله بذلك بغيا وفسادا أنت هو ، فقال له المنصور : ويحك كيف يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء ببابى وملك

---

(١) محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسى زين الدين ، حجة الإسلام ، أبو حامد الغزالى : فقيه ، أصولى ، صوفى ، ارتحل إلى أبى نصر الإسماعيلى بجرجان ، ثم إلى إمام الحرمين الجوينى بنيسابور ، فشتغل عليه ولازمه ، ثم أقبل على العبادة والسياحة، له مولفات كثيرة أشهرها "إحياء علوم الدين" ، ت[٥٠٥هـ = ١١١١م] . انظر : سير أعلام النبلاء (١٢/ ٧٥-٨١) ، وفيات الأعيان (١/٥٨٦) .

الأرض فى قبضتى ، فقال الرجل : سبحان الله يا أمير المؤمنين وهل داخل أحدا من الطمع ما داخلك استرعاك الله أمور المؤمنين وأموالهم فأهملت أمورهم ، واهتممت بجمع أموالهم واتخذت بينك وبين رعيتك حجابا من الجبس والآجر[1] ، وحجبة معهم السلاح ، وأمرت أن لايدخل عليك إلافلان وفلان نفرا استخلصتهم لنفسك ، وأمرتهم على رعيتك ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا العارى، ولا أحد إلاوله فى هذا المال حق ، فلما رآك هؤلاء ، الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك تجمع الأموال وتقسمها ، قالوا : هذا خان الله ورسوله فما لنالا نخونه ، فأجمعوا على أن لايصل إليك من أموال الناس إلا ماأرادوا فصار هؤلاء شركاءك فى سلطانك وأنت غافل عنهم فإذا جاء المظلوم إلى بابك وجدك أوقفت رجلا ينظر فى مظالم الناس ، فإن كان الظالم من بطانتك علل صاحب المظالم بالمظلوم، وسوف من وقت إلى وقت، فإذا اجتهد وظهرت أنت صرخ بين يديك فضربه أعوانك ضربا شديدا ليكون نكالا لغيره ، وأنت ترى ذلك ولا تنكر.

لقد كانت الخلفاء قبلك من بنى أمية إذا أتت إليهم الظلامة أزيلت فى الحال ، ولقد كنت أسافر الصين يا أمير المؤمنين ، فقدمت مرة فوجدت الملك الذى به قد فقد سمعه فبكى، فقال له : وزراؤه مايبكيك أيها الملك لا أبكى الله لك عينا إلامن خشيته ، فقال: والله مابكيت لمصيبة نزلت بى وإنما لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمعه ، ثم قال: إن كان سمعى ذهب فإن بصرى لم يذهب نادوا فى الناس لايلبس أحد ثوباً أحمر إلا مظلوم ، وكان يركب الفيل طرفى النهار ويدور فى البلد لعله يجد أحدا لابسا ثوباً أحمر ،

---

(١) الآجُرّ : ما يبنى به من الطين المشوى . وتسميه العامة : الفرميد .

فيعلم أنه مظلوم فينصفه ؛ هذا الأمير رجل مشرك غلبت عليه رأفته على شح نفسه بالمشركين ، وأنت مؤمن بالله ورسوله وابن عم رسول الله ﷺ يا أمير المؤمنين لاتجمع الأموال إلا لإحدى ثلاث ، فإن قلت: إنما أجمع الأموال لمصالح الملك ، فقد أراك الله عبرة فى الملوك والقرون من قبلك ما أغنى عنهم ما أعدوا من الأموال والرجال والكراع حين أراد الله بهم ما أراد ، وإن قلت : إنما أجمع للولد ، فقد أراك الله عبرة فيمن تقدم ممن جمع المال للولد فلم يغن ذلك عنهم شيئاً بل ربما مات فقيرا ذليلا حقيرا ، وإن قلت : إنما أجمعه لغاية هى أجسم من الغاية التى أنت فيها ، فو الله ما فوق منزلتك إلا منزلة لاتدرك إلا بالعمل الصالح .

فبكى المنصور بكاء شديداً ، ثم قال : وكيف أعمل وقد فرت منى العباد ولم تقربنى والصالحون لم يدخلوا على ؟ فقال : ياأمير المؤمنين افتح الباب ، وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم ، وخذ المال مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل ، وأنا ضامن من هرب أن يعود إليك ، فقال المنصور: نفعل إن شاء الله تعالى ، وجاء المؤذن فأذن للصلاة فقام وصلى، فلما قضى صلاته طلب الرجل فلم يجدة ، فقال : لصاحب الشرطة على بالرجل الساعة فخرج يطلبه فوجده عند الركن اليمانى فقال له : أجب أمير المؤمنين ، فقال : ليس إلى ذلك من سبيل ، فقال: إذن يضرب عنقى ، فقال : ولا إلى ضرب رقبتك من سبيل ، ثم أخرج من مزود[1] كان معه رقا[2] مكتوبا فقال له : خذه فإن فيه دعاء الفرج من دعا به صباحا ومات

---

(١) المزود : ما يوضع فيه الزاد ، و جمعه مزاود .

(٢) رِقّ : جلد رقيق يكتب فيه .

من يومه مات شهيدا ، ومن دعا به مساء ومات من ليلته مات شهيدا ، وذكر له فضلا عظيما وثوابا جزيلا ، فأخذه صاحب الشرطة وأتى به المنصور ، فلما رآه قال له : ويلك أو تحسن السحر ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ثم قص عليه القصة فأمر المنصور بنقله وأمر له بألف دينار وهو هذا «اللهم كما لطفت فى عظمتك دون اللطفاء ، وعلوت بعظمتك على العظماء ، وعلمك بما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك ، وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر فى علمك وانقاد كل شيء لعظمتك وخضع كل ذى سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لى من كل هم وغم أصبحت وأمسيت فيه فرجا ومخرجا اللهم إن عفوك عن ذنوبى وتجاوزك عن خطيئتى وسترك على قبيح عملى أطمعنى أن أسألك مالا أستوجبه مما قصرت فيه أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا فإنك أنت المحسن إلىَّ وأنا المسيء إلى نفسى فيما بينى وبينك تتودد إلى بالنعم وأتبغض إليك بالمعاصى ولكن الثقة بك حملتنى على الجراءة عليك فجد بفضلك وإحسانك على أنك أنت الرؤوف الرحيم» ، انتهى من حياة الحيوان .

[٥٠] **وحدث عبد الله البلتاجى قال** : دخل ابن أبى ليلى على أبى جعفر المنصور ، وكان ابن أبى ليلى قاضيا ، فقال أبو جعفر : إن القاضى يرد عليه من طرائف الناس ونوادرهم ، فإن كان ورد عليك شيء فحدثنيه فقد طال على يومى .

قال : والله ياأمير المؤمنين قد ورد على منذ ثلاثة أيام أمر ماورد على مثله : أتتنى عجوز ، تكاد أن تنال الأرض بوجهها ، أو تسقط من انحنائها

فقالت : أنا بالله وبالقاضى أن يأخذ لى بحقى ، وأن يعيننى على خصمى ، قلت : ومن خصمك ؟ قالت : ابنة أخ لى ، فدعوت بها فجاءت امرأة ضخمة ممتلئة شحما فجلست منبهرة فذهب العجوز تتظلم، فقالت الشابة أصلح الله القاضى مرها فلتسكت حتى أتكلم بحجتى وحجتها، فإن لحنت[1] بشيء فلترد علىّ فإن أذنْتَ لى أسفرتُ[2] ، فقالت : العجوز إن أسفرت قضيت لها ، فقلت لها : أسفرى فأسفرت عن وجه والله ما ظننت أن يكون مثله إلا فى الجنة .

فقالت : أصلح الله القاضى هذه عمتى مات والدى وتركنى يتمية فى حجرها فربتنى فأحسنت التربية حتى إذا بلغت مبلغ النساء ، قالت لى : يا بنت أخى هل لك فى التزويج ؟ قلت : ما أكره ذلك ياعمة ، قالت العجوز: نعم ، قالت: فخطبنى وجوه أهل الكوفة فلم ترض إلا رجلا صيرفيا[3] فتزوجنى ، فكنا كأننا ريحانتان ما نظن أن الله خلق غيره يغدو إلى سوقه ويروح على بما رزقه الله تعالى؛ فلما رأت العمة موقعه منى وموقعى منه ؛ حسدتنا على ذلك وكانت لها ابنة فشوفتها[4] وهيأتها لدخول زوجى فوقعت عينه عليها ، فقال : ياعمة هل لك أن تزوجينى ابنتك؟ قالت : نعم بشرط ، فقال لها : وما الشرط ؟ قالت: تصير أمر ابنة أخى إلى ، قال : قد صيرت أمرها إليك ، قالت : فإنى قد طلقتها ثلاثا بتة،

---

(١) لَحَنَ : أخطأ

(٢) أسفَرَت : كشفت عن وجهها .

(٣) صَيْرَفِيّ : بيَّاع النقود بنقودٍ غيرها .

(٤) شوفتها : زينتها .

وزوجت ابنتها زوجى فكان يغدو عليها ويروح ، فقلت لها : ياعمتى أتأذنين لى أن أنتقل عنك ؟ قالت : نعم ، فانتقلت عنها . وكان لعمتى زوج غائب فقدم فلما توسط منزلها قال : مالى لا أرى ربيبتنا ؟ قالت : طلقها زوجها فانتقلت عنا، فقال : إن لها من الحق علينا أن نعزيها بمصيبتها فلما بلغنى مجيئه إلى تهيأت له وتشوفت ، فلما دخل علىَّ عزانى بمصيبتى ثم قال : إن فيك بقية من الشباب فهل لك أن أتزوج بك ؟ قلت: ما أكره ذلك ولكن على شرط ، قال لى : وما الشرط ؟ قلت : تصير أمر عمتى بيدى، قال : فإنى قد فعلت وصيرت أمرها بيدك ، قلت : فإنى قد طلقتها ثلاثا بتة ؛ قالت: فقدم على بثقله من الغد ومعه ستة آلاف درهم فأقام عندى ، ثم إنه اعتل وتوفى ؛ فلما انقضت عدتى جاء زوجى الأول الصيرفى يعزينى بمصيبتى فلما بلغنى مجيئه تهيأت وتشوفت له ، فلما دخل على قال لى : يا فلانة إنك تعلمين أنك كنت أعز الناس على وأحبهم إلىّ وقد حلت المراجعة هل لك فى ذلك؟ قلت : ما أكره ، ولكن اجعل أمر ابنة عمتى بيدى ، قال : فإنى قد فعلت ، قلت : فإنى قد طلقتها ثلاثا بتة ، أصلح الله القاضى فرجعت إلى زوجى فما اعتدائى عليها ؟

فقالت العجوز : أنا فعلت مرة وفعلت مرة بعد أخرى ، فقلت : إن الله لم يؤقت فى هذا وقتا وقد قال ﴿**من عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله**﴾ [الحج: ٦٠] واحدة بواحدة والبادى أظلم ، فقال القاضى: إن زوج العمة لم يكن له أن يتزوج ابنة أخيها وهى فى عدته ، فأرادت العجوز أن تتولى التفريق بينه وبينها استيفاء لها ومجازاة لها على فعلها ، فقلت لها : قد فرقت بينكما قومى إلى منزلك ، انتهى .

[٥١] و[قيل] : ذكر المنصور يوما فى مجلسه زوال ملك بنى أمية وما جرى عليهم وأنهم عاشوا سعداء وماتوا فقراء ، فقال له إسماعيل بن على الهاشمى : إن عبد الله بن مروان بن محمد[١] فى حبسك وله قصة مع ملك النوبة فأحضره واسأله عنها ، فأحضره فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فقال المنصور : رد السلام أمن ولم تسمح نفسى بذلك، ولكن اقعد فقعد ، فقال : ما قصتك مع ملك النوبة ؟

فقال : يا أمير المؤمنين كنت ولى عهد أبى ، فلما طلبتنا دعوت عشرة من غلمانى ودفعت لكل واحد ألف دينار وأوسقت خمس بغال وشددت فى وسطى جوهرا له قيمة عظيمة وخرجت هاربا إلى بلاد النوبة فلما قربنا بعثت غلاما لى فقلت: امض إلى هذا الملك وأقرئه السلام وخذ لنا منه الأمان وابتغ لنا ميرة[٢] ، فمضى وأبطأ حتى أسأت به الظن ، ثم أقبل ومعه رجل فدخل وسلم ، وقال: الملك يقرئك السلام ويقول لك : من أنت وما جاء بك إلى بلادى أمحارب أم راغب فى دينى أم مستجير بى ، فقلت له : رد على الملك ما أنا بمحارب ولا راغب فى دينك ولا ممن يبتغى بدينه بدلا بل مستجير به ، فذهب الرسول ورجع إلى وقال : الملك يقول لك إنى أجىء إليك غدا فلا تحدث نفسك حدثا ولا شيئاً من الميرة، فقلت لأصحابى : افرشوا الفرش ففرش لى وجلست من الغد أرقبه وإذا هو

---

(١) عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ، الأموى : شهد زوال دولتهم فى أيام أبيه [١٣١هـ] وفر من عبد الله بن على العباسى "عم السفاح" إلى بلاد النوبة ، ت[١٧٠هـ - ٧٨٧م] . انظر : تاريخ ابن خلدون (١١٢/٣)

(٢) الميْرَة : الطعام الذى يدخره الإنسان .

قد أقبل وعليه بردان قد ائتزر بأحدهما وارتدى بالآخر حافى الرجلين ومعه عشرة معهم الحراب ثلاثة يقدمونه وسبعة خلفه فاستصغرت أمره وسولت لى نفسى قتله فلما قرب إذا سواد عظيم قلت: ماهذا ؟ قالوا : الخيل فوافى بها عشرة آلاف عنان[1] ووافت الخيل عند دخوله فأحدقوا بنا ؛ فلما دخل جلس على الأرض ، قال: فقلت لترجمانه : لِمَ لَمْ يقعد على الموضع الذى وطئ له فسأله فقال : قل له إنه ملك وكل ملك حقه أن يكون متواضعا لله وعظمته إذ رفعه الله على عباده، ثم نكت بأصبعه الأرض طويلا ، ورفع رأس ، وقال : قل له كيف سلبتم هذا الملك فأخذ منكم وأنتم أقرب الناس إلى نبيكم؟ فقلت : جاء من أقرب منا قرابة إليه فسلبنا وغلبنا وطردنا ، فخرجت إليك مستجيرا بالله ثم بك ، قال : فلم كنتم تشربون الخمر وهو محرم عليكم ؟ قلت : فعل ذلك عبيد وأعاجم دخلوا فى ديننا وفى ملكنا من غير رأينا ، قال : فلم تركبون على الديباج وعلى خيولكم سروج الذهب والفضة وهى محرمة عليكم ؟ قلت : فعل ذلك عبيد وأعاجم دخلوا فى ديننا وفى ملكنا بغير رأينا ، قال : فلم كنتم إذا خرجتم إلى الصيد مررتم على القرى وكلفتم أهلها مالا طاقة لهم به : الضرب والإهانة ولا يقنعكم ذلك حتى تحطموا زرعهم فى طلب دراج[2] قيمته نصف درهم والتكليف والعناء محرم عليكم؟ قلت : فعل ذلك عبيد وغلمان وأتباع ، قال : لا ولكنكم استحللتم ما حرم الله عليكم وأتيتم مانهاكم الله عنه فسلبكم العز وألبسكم الذل ونصر أعداءكم عليكم ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها بعد ، وإنى أخاف أن ينزل بك النقمة إذا كنت من الظلمة فتشملنى

---

(١) عَنَان : لجام الخيل .

(٢) الدَرَّاج : القنقد لأنه يدرج فى الليل .

معك ، فإن النقمة إذا نزلت شملت، فاخرج بعد ثلاث فإن وجدتك بعدها أخذت مامعك وقتلتك ومن معك ، ثم وثب قائما وخرج وأقمت ثلاثا ورجعت الى مصر فأخذنى عاملك ، وبعث بى إليك وها أنا والموت أحب إلى من الحياة ، فرق له المنصور وهم بإطلاقه ، فقال له إسماعيل بن على: فى عنقى بيعة هذا ، قال : فما ترى قال ينزل فى دار من دورنا ، ويجرى عليه مايجرى على مثله ، ففعل به ذلك، انتهى .

[٥٢] و[قيل] **خطب المنصور يوما بالشام فقال : "أيها الناس ينبغى** لكم أن تحمدو الله تعالى على ماوهبكم الله فى فإنى منذ وليتكم صرف الله عنكم الطاعون الذى كان يجيئكم" ، فقال أعرابى : إن الله أكرم من أن يجمعك أنت والطاعون علينا.

[٥٣] و[قيل] : دخل ابن هرمة[1] على المنصور وامتدحه ، فقال له المنصور: سل حاجتك ، قال : تكتب إلى عاملك بالمدينة إذا وجدنى سكرانا لا يحدنى ، فقال له المنصور : هذا حد لاسبيل إلى تركه ، فقال : مالى حاجة غيرها ، فقال لكاتبه : اكتب إلى عاملنا بالمدينة من أتاك بابن هرمة وهو سكران فاجلده ثمانين واجلد الذى جاء به مائة فكان الشرطة

---

(١) إبراهيم بن على بن سلمة بن عامر : شاعر غزل من سكان المدينة ، من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، رحل إلى دمشق ومدح الوليد بن يزيد ثم وفد إلى المنصور العباسى فى وفد أهل المدينة فتحهم له ، ثم أكرمه ، وهو آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم . وقال الأصمعى : ختم الشعر بابن هرمة وكان مولعاً بالشراب ، وحلد فيه أكثر من مرة ، ت[١٧٦هـ] . انظر : عيون الأخبار لابن قتيبة (١٦٢/١) ، تاريخ بغداد (١٢٧/٦) ، البداية والنهاية (١٦٩/١٠).

يمرون عليه وهو سكران ويقولون من يشترى ثمانين بمائة فيمرون عليه ويتركونه ، انتهى[1] .

[٥٤] **وحدث أحمد بن موسى قال** : ما رأيت رجلا أثبت جنانا ولا أحسن معرفة ولا أظهر حجة من رجل رفع فيه عند المنصور بأن عنده أموالا لبنى أمية فأمر المنصور حاجبه الربيع[2] أن يحضره فلما حضر بين يديه ، قال المنصور : رفع إلينا أن عندك ودائع وأموالا وسلاحا لبنى أمية فأخرجها لنا لنجمع ذلك إلى بيت المال ، فقال الرجل : يا أمير المؤمنين أنت وارث لبنى أمية قال لا قال فلم تسأل إذن عما فى يدى من أموال بنى أمية ولست بوارث لهم ولا وصى فأطرق المنصور ساعة ثم قال : إن بنى أمية ظلموا الناس وغصبوا أموال المسلمين ، فقال الرجل : يحتاج أمير المؤمنين إلى بينة يقبلها الحاكم تشهد أن المال الذى لبنى أمية هو الذى فى يدى وأنه هو الذى غصبوه من الناس ، وأن أمير المؤمنين يعلم أن بنى أمية كانت لهم أموال لأنفسهم غير أموال المسلمين التى اغتصبوها على مايتهم أمير المؤمنين، قال: فسكت المنصور ساعة ، ثم قال : ياربيع صدق الرجل مايجب لنا على الرجل شيء ، ثم قال للرجل ألك حاجة ؟ قال : نعم قال

---

(١) جاء ذكر هذه القصة فى العقد الفريد لابن عبد ربه(٥٨/٨) ولكن كانت بين ابن هرمة مع المهدى .

(٢) الربيع بن يونس بن محمد بن أبى فروة ، كسبان أبو الفضل : من موالى بنى العباس ، وزير من العقلاء الموصوفين بالحزم ، اتخذه المنصور العباسى حاجبا ثم استوزره ، وعاش إلى خلافه المهدى ، وإليه تنسب "قطيعة الربيع" ببغداد وهى محلة كبيرة ، ت[١٩٦هـ - ٧٨٦م] .انظر :وفيات الأعيان (١٨٥/١) ، الأعلام للزركلى (١٥/٣).

ماهى ؟ أن تجمع بينى وبين من سعى فى إليك فوالله ياأمير المؤمنين ما لبنى أمية عندى مال ولا سلاح وإنما أحضرت بين يديك وعملت ما أنت فيه من العدل والإنصاف واتباع الحق واجتناب المظالم فأيقنت أن الكلام الذى صدر منى هو أنجح وأصلح لما سألتنى عنه ، فقال المنصور : ياربيع اجمع بينه وبين الذى سعى به فجمع بينهما ، فقال : ياأمير المؤمنين هذا أخذلى خمسمائة دينار وهرب ولى عليه مسطور شرعى فسأل المنصور الرجل فأقر بالمال قال فما حملك على السعى كاذبا ، قال : أردت قتله ليخلص لى المال ، فقال الرجل : قد وهبتها له ياأمير المؤمنين لأجل وقوفى بين يديك وحضورى مجلسك ووهبته خمسمائة دينار أخرى لكلامك لى، فاستحسن المنصور فعله وأكرمه ورده إلى بلده مكرما وكان المنصور كل وقت يقول ما رأيت مثل هذا الشيخ قط ولا أثبت من جنانه ولا من حجته مثله ولا رأيت مثل حلمه ومروءته ، انتهى .